الفصل الثامن عشر

كنت غارقاً في النوم عندما استيقظت على صوت صخب رجال في الدار، فركت عيني ونظرت إلى ساعتي كانت عقاربها تشير إلى الثالثة والنصف قبل الفجر، كان صوت أمي يصرخ: ماذا تريدون؟ قبل أن أتمكن أنا وإبراهيم من القيام من فراشنا، كان باب الغرفة قد ضرب ضربة قوية أطارته، وعدد من فوهات البنادق، شهرت ووجهت علينا وجاء صوت "أبو وديع": لا تتحركا ابقيا في مكانكما.

ثم دخل هو وعدد من الجنود وأشار إلى إبراهيم قائلاً: أنت إبراهيم؟ أجاب إبراهيم: نعم أنا إبراهيم ماذا تريد؟ ضحك أبو وديع قائلاً: لماذا أنت مستعجل؟!! تريث يا إبراهيم، ونظر إلي وقال: أنت أحمد؟ قلت: نعم، قال: قوما وتعالا، أخذنا وأوقفنا إلى أحد الجدران، أمر الجنود بالتفتيش فهجموا ينبشون الغرفة نبشاً، وقام هو بنفسه بتفتيشنا شخصياً حيث لم يعثر معنا على أي شيء. قلّب الجنود الغرفة فلم يجدوا أي شيء يبحثون عنه، وكان يقلب أوراق إبراهيم ودفاتره ليقرأ ما فيها، ثم جمع كل ما ارتاب به من أوراق ووضعها في صندوق أحضره أحد الجنود وأمره بأخذه للسيارة.

كانت أمي تصرخ وتقول: ماذا تريدون؟ خربتم الدار الله يهدكم، وقد كان عشرات الجنود يفتشون كل زاوية من زوايا الدار، بعد حوالي ساعتين من التفتيش ربطوا يديّ وراء ظهري، ووضعوا عصبة قماشة على عيني، وكذلك فعلوا مع إبراهيم، وأخذونا من الدار وأمي تصرخ؟ إلى أين تأخذوهما؟ يا مجرمين قاتلكم الله. ألقوا بي في سيارة الجيب كما يلقى كيس البطاطس، ثم شعرت بكيس بطاطس آخر يُرمى فوقي فعرفت أنه إبراهيم.

كنت أرتجف من شدة الخوف والقلق، ويبدو أن إبراهيم قد أحس بذلك فهمس قائلاً: شد حيلك، مابالك يا رجل ترتجف ليس هناك شيء!! كلها أيام ونعود إلى الدار، فنزلت صفعة قوية على قفا رأسه وصوت جندي يصرخ بعبرية مكسرة:اسكت يا حمار، سارت بنا القافلة ثم توقفت قدرنا أننا وصلنا السرايا، أنزلونا دفعاً وركلاً، ثم بدأوا يجرجروننا في أزقة وممرات ضيقة، ثم صعدوا بنا درجاً ضيقاً طويلاً، استلمني واحد يتحدث عربية بشكل أفضل طلب مني الوقوف وعدم التحرك، أوقفني إلى جانب الجدار، وسمعته كذلك يوقف إبراهيم بجوار الجدار ويطلب منه نفس الشيء.